اهدت عملها الاخير لمنصور الرحباني لأنه قيمة «فنية وانسانية كبيرة»

كارول سماحة: العري والاغراء ليسا خطأ... لكن الابتذال والرخص يظهر في العينين والوجه

بيروت ـ «القدس العربي» ـ من زهرة مرعي:

غنت لـ «أضواء الشهرة» بعد أن تذوقت طعمها وعرفت مدى الأثر الذي تتركه في حياة المرأة المطربة بشكل خاص. وكانت الأغنية عنواناً لعملها الغنائي الثالث الذي أهدته للفنان منصور الرحباني.
الفنانة كارول سماحة تواظب على نشاطها في عالم الأغنية وهي اليوم تقدم سي دي من ثماني أغنيات بينها الايقاعي والرومانسي. كما قدمت فيديو كليب اعتمد على حركتها الراقصة التي قدمتها بالكثير من الشغف.
مع كارول سماحة كان هذا الحوار:

■ لماذا قررت الآن الغناء لـ «أضواء الشهرة»؟

■ **في الظرف الراهن استحقت أضواء الشهرة جدياً بالنسبة لي. مع عملي الغنائي الأول «حلم» وصلت للانتشار العربي. صرت أعرف طعم الشهرة ومعناها الحقيقي، وصار واضحاً بالنسبة لي أثر تلك الشهرة على حياتي العاطفية والشخصية، لهذا وجدت ضرورة كي أعبر عن احساسي نحوها. والأغنية كتبت بطلب مني وأعتبرها تعبيراً عن الواقع العاطفي لكافة الزميلات المغنيات.**

■ لماذا أهديت السي دي لمنصور الرحباني؟

■ **أحب هذا الانسان وأقدره بشكل أعجز معه عن التعبير. منصور الرحباني قيمة فنية وانسانية كبيرة. هو أب روحي أستنير برأيه في عملي الفني، وفي الكثير من خصوصياتي. أشكره لأنه أتاح لي تسجيل أهم محطاتي الفنية في الحياة تحت ادارته. في الحقيقة أتفاءل بالعائلة الرحبانية، أعز أصدقائي في الحياة تعرفت اليهم في اطار تلك العائلة. ولأني على ثقة بأن سي دي «أضواء الشهرة» هو الأفضل في حياتي الفنية حتى الآن رغبت باهدائه لمنصور الرحباني كونه فال خير في حياتي.**

■ «أضواء الشهرة» تضمن الموسيقى الشرقية والغربية. هل هو تنويع مقصود بهدف جذب كافة الأذواق؟

■ **هذا السي دي يتيح للانسان أن يسمعه في حالات الفرح والحزن معاً، وفي حالات الغرام وعدم الغرام أيضاً. يسمعه من يرغب بالرقص ومن يرغب بسماع أغنية طربية. وهو بالتالي عمل غنائي متكامل له هويته وروحه الخاصة. طغى عليه التوزيع الشرقي، وفي الأماكن التي تم فيها استعمال الآلات الغربية لم نشعر بها ولم تفاجئنا. الانسجام كبير بين الألحان والتوزيع.**

■ قلت في احدى الأغنيات «اعتزلت الحب وارتحت من الغرام» هل هو لقاء من دون موعد مع ماجدة الرومي التي «اعتزلت الغرام»؟

■ **منذ سنتين ونصف والأغنية بحوزتي وقد نصحني مدير أعمالي نقولا نخلة بتأجيل ضمها لسي دي «أنا حرة» لأنه في حينها تضمن 12 أغنية. لقد وجد نقولا سعادة بأن حق تلك الأغنية سيموت في ظل وجود 12 أغنية. وافقته الرأي وعندما عرضت أغنية المطربة ماجدة الرومي اتصل بي ليقول «شفتي ياريت نزلناها». كذلك في العام الماضي تكرر عنوان أغنية «كيف بدي عيش». انها الصدف.**

■ «بحبك حتى بعذابك وما نسيتك يوم» الأغنية جميلة لكن هل توافق كارول على هذا النوع من الحب الذي فيه عذاب؟

■ **«بيناتنا» تحب المرأة قليلاً من العذاب في الحب. الرجل الذي ينفذ كل طلبات المرأة يصبح عادياً في حياتها.**

■ هل تعيشين حباً يعذبك؟

■ **ليس لهذه الدرجة. عندما يتعمق العذاب ويؤدي بي الى الألم أرحل لأني أنشد السعادة في الحياة. أعني بما قلته عذاب الحب في مراحله الأولى انما بعد الزواج فالعذاب غير مستحب. في المراحل الأولى الحب جميل بألمه وفرحه. وأحياناً يتبع الحبيبين سياسة الدلال والغنج الذي يؤدي الى بعض العذاب و«الحرقصة». هذا ما أقصده وليس أكثر.**

■ وهل تعيشين الآن حالة حب؟

■ **نعم وأنا سعيدة بها جداً.**

■ يتضمن السي دي العديد من الأغنيات الرومانسية فهل هي ردة فعل على الكثير من الايقاع الذي ينشده المطربون في هذه المرحلة؟

■ **الجمهور أحبني وصدقني في اللون الرومانسي خاصة في أغنية «طلع فيي». أحببت العودة الى هذا اللون بعد أن ابتعدت عنه في ألبوم «أنا حرة». أحب الغناء الرومانسي جداً ولا أنكر في الوقت نفسه بأني أميل الى الرقص.**

■ هل وصلت الى الرضى الذاتي؟

■ **لم أصله بعد. ثلاثة أعمال غنائية لا ترضي غليلي. وفي كل عمل جديد أرسم مشهدية لكيفية أداء كل أغنية على خشبة المسرح.**

■ من يساعدك في رسم المشهدية؟

■ **أوظف دراستي وخبرتي في هذا الجانب فأنا كما تعلمين درست الاخراج.**

■ هل يمكن القول أنك قطعت مراحل التأسيس في الغناء ووصلت الى مرحلة الترسيخ؟

■ **لم أصل الى الترسيخ بعد. ينتظرني الكثير من العمل كي أتمكن من تحقيق ذاتي.**

■ الغناء بشكل عام هل يحمل رسالة ما أم هو حالة فرح ينجح صاحبها أو يفشل؟

■ **لا شك بأن هدف الفن هو متعة الناس وأن نقوم بمشاركتهم في أحاسيسنا من حزن وفرح. يفترض أن نقدم لهذا الجمهور انفعالاً معيناً. من أهداف الفن دفع الناس نحو الحلم بعالم أجمل من العالم الذي يعيشون به. النجاح بالنسبة لي لا يقتصر على أغنية جميلة تترافق مع فيديو كليب تتحدث عنه الصحف وأنتهى الأمر. هدفي الأساسي خلق مشهدية لأغنياتي بأسلوب جديد يبرز الأغنية على المسرح.**

■ اهتمامك بمشهدية الأغنية على المسرح هل ينسحب اهتماماً وتدخلاً بالفيديو كليب؟

■ **كثيراً جداً. أعتقد أن المخرجين الذين يتعاونون معي ينزعجون مني في مرحلة التحضير خاصة. وفي مرحلة التصوير أنفذ كل المطلوب. ومن ثم أعود الى الازعاج في مرحلة المونتاج. والكثير من المخرجين عبروا عن انزعاجهم مني لمدير أعمالي.**

■ ما الفرق بين كارول في الحفلات الشعبية الشبابية وكارول في حفلات الخمس نجوم؟

■ **أشعر بأني على طبيعتي في الحفلات الشعبية لأن التفاعل بيننا يصل الى النهاية. لا قيود في الحفلات الشبابية بعكس حفلات الخمس نجوم.**

■ كيف تعمل كارول لتطوير ذاتها كمطربة؟

■ **الرياضة وتمارين الرقص هي جزء أساسي من حياتي. أجتهد في تمرين صوتي، وأسعى للعمل احترافياً على ذاتي الفنية. أبحث على الدوام عن موضوعات جديدة في الأغنيات التي أختارها.**

■ كيف تميزين نفسك في هذه الأجواء الفنية المفتوحة على ما هب ودب؟

■ **لا أعاني من مشكلة في هذا الجانب. لم يخلط الجمهور يوماً بيني وبين آخرين. برأيي الجمهور يلتزم لائحة يصنف من خلالها الفنانين. أشعر من الجميع بأنهم يضعون كارول سماحة في مكان خاص بها وهذا ما يسعدني كثيراً.**

كارول سماحة (القدس العربي)

■ حلمت كثيراً وخططت أكثر للغناء. هل أسعدك تحقيق الحلم؟

■ **أكيد لأني أحب طعم النجاح لكن هذا لا يعني الاكتفاء. طموحي أكبر بكثير مما تحقق.**

■ ما هو موقفك من الأغنية والفيديو كليب اللذان يحملان ايحاءات جنسية؟

■ **بعض الرسامين يقدمون سيدة عارية نشعر معها بأنها من الأعمال الخالدة في روعتها، ولانشعر معها بالرخص أو الابتذال. والبعض الآخر يقدم المرأة العارية بشكل يتركنا نشمئز من كوننا نساء. ليس من الخطأ أن تقوم المرأة بالاغراء، وليس خطأً أن ترقص باغراء. انما وضعية العينين والوجه هو من يقول ان كانت تقدم رخصاً أو قيمة فنية. تعبير العيون هو الذي يحمل الاستفزاز أو الرقي والاحتراف الفني.**

■ أي نوع من الكتب تقرأين؟

■ **أقرأ كثيراً لباولو كويلّو وهو برازيلي. كما قرأت كتاب «دافنشي كود» مؤخراً، وسوف أشاهده في السينما قريباً. وأتابع العديد من الكتب عن المسرح.**

■ ما هي مشاريعك القريبة؟

■ **لدي العديد من الحفلات في عمان وسورية حيث سأشارك في مهرجانات دمشق الدولية وفي كافة مهرجانات السلام والمحبة. وقد أكون في تونس في شهر آب (اغسطس) المقبل. كما أحضر لحفل كبير سوف أحييه في لبنان. وأستعد لتصوير أغنية ثانية قد تكون «أضواء الشهرة» أو «وحياتك» وهما من النوع الراقص أيضاً.**

يحتفل بذكراها الـ23 الشهر القادم

محمد سلطان يفتح خزائن أسراره: الوسط الفني تآمر على فايزة أحمد ولم يعرف قدرها إلا بعد رحيلها

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من عمر صادق:

يحتفل الموسيقار الكبير محمد سلطان الشهر القادم بالذكرى الـ23 على رحيل كروان الشرق المطربة الراحلة فايزة أحمد.
واعترف سلطان في حديث خاص لـ«القدس العربي» ان زوجته الراحلة كانت عنيدة ولا تتقبل الهزيمة بسهولة، مندفعة في بعض ردود افعالها خاصة في اتخاذ قرارات مصيرية.
واكد سلطان ان الساحة الغنائية تحولت في فترة من الفترات الى ساحة معارك وقتال بين المطربين، وقال ان الحرب ضد فايزة اتخذت وسائل غير شريفة أحيانا ووصلت الى حد اثارة اعصابها في الحفلات العامة وقبل بدء وصلتها الغنائية بقليل، وتحولت الى معاكسات من جانب الفنيين لدرجة انهم كانوا يقومون بالتشويش عليها وافساد الميكروفونات وتأليب الموسيقيين عليها حتى تظهر امام الجمهور بصورة غير التي يعرفونها عنها.
ويضيف سلطان: وصلت المعارك الى قمة المأساة بقطع الطريق عليها وذلك بإبعاد كبار الملحنين عن التعامل معها امثال بليغ حمدي والموجي والطويل حتى موسيقار الاجيال محمد عبد الوهاب، اول من اعترف بصوتها وموهبتها، رفض التعامل معها وهي في أوج مجدها.
ويضيف: المطربون «العجزة» شعروا ان فايزة تهدد مستقبلهم الغنائي فبدأوا يحيكون ضدها سلسلة المؤامرات، بعضها خفي والآخر معلن وكانوا يتلذذون بانفعالها وخروجها عن شعورها في احيان كثيرة.
ويقول: هل تتصور الجرأة والبجاحة ان مطربة معروفة اتصلت بفايزة حيث كانت تقضي أواخر حياتها في مستشفى القوات المسلحة بالمعادي لتخبرها بحقيقة مرضها رغم اننا جميعا تكتمنا عنها ورفضنا الافصاح، وبعد ان عرفت فايزة بأنها تعيش أيامها الاخيرة انهارت عزيمتها، وخارت قواها، واستسلمت لليأس وأدركت النهاية، ألم أقل انها حرب نفسية!

■ بعد مرور 23 عاما على رحيل فايزة أحمد، ما هي الجوانب الايجابية في شخصيتها؟

■ **فايزة برغم عنادها وتشبثها بآرائها للنهاية إلا انها كانت تقف بجوار الحق وتكره النفاق، وتجامل زملاءها في اضيق الحدود، وسر تمسكها بقول الحق احساسها بانها مضطهدة خاصة بعد تخلي كبار الملحنين عنها. كانت عطوفة وصاحبة واجب، وقلب طيب جدا.**

■ بعد تخلي كبار الملحنين عنها، كيف اجتازت هذه الأزمة؟

■ **تعرفت على فايزة في فترة قطيعة كبار الملحنين لها، وكنت اعزف لها بعض المقطوعات وشعرت هي انني مشروع ملحن، وبالفعل كانت ثقتها فيّ بلا حدود لدرجة انها كانت تقول لصديقاتها واصدقائها ان سلطان هو المفاجأة التي اعدها الآن وستكون ألحانه هي القنبلة التي سيسمع صداها كل من في الوسط الفني، وفعلا لم أخيب ظنها وقدمت لها 95 % من أغانيها ونجحنا سويا، وكونا ثنائيا شهيرا وساعدني ذلك ان خامة صوتها رائعة مثل رقائق الذهب كما كان يقول عنها عبد الوهاب.**

■ قلت ان العلاقة بين فايزة وعبد الوهاب كانت متوترة على طول الخط، متى وكيف عادت؟

■ **عبد الوهاب موسيقار كبير لم يرد ان يخسر فايزة وباعترافه شخصيا فان فايزة كانت صاحبة أجمل وأرقى وأعذب صوت في الساحة انذاك ورغم فترة القطيعة عاد الاثنان قدم لها عبد الوهاب اغنية «وقدرت تهجر» وأغان اخرى.**

■ كيف كانت العلاقة بين فايزة ووردة، وهل وصلت الى طريق مسدود كما يتردد؟

■ **المشاكل والأزمات التي حدثت بينهما لا استطيع ان اقول عنها إلا أنها منافسة بين صوتين كبيرين، كل منهما يحاول الانفراد بالساحة ولكن لم تخرج هذه المنافسات عن اطارها غير المألوف، فالتنافس حق مشروع.**

■ تردد ان العلاقة بين حليم وفايزة وصلت الى مرحلة اللا عودة بينهما ايضا، كيف حدث ذلك؟

■ **لا استطيع ان أثمن هذه العلاقة من وجهة نظري إلا من خلال الدلائل التي تشير اليها.**
حليم كان صديقا حميما لفايزة ويزورها باستمرار في منزلنا بالزمالك وغاردن سيتي وكثيرا ما تكون هناك جلسة فنية يغني فيها حليم اغاني فايزة وتقوم هي بالرد عليه بالغناء ايضا وكانت تعشق اغانيه الاولى مثل «صافيني مرة» و«على قد الشوق» و«في يوم من الايام» وبالمناسبة كان حليم يطلق على فايزة «عبد الحليم المطربات» حيث يرى انها لا تقل عن موهبته ومرتبته التي يحظى بها على الساحة انذاك.

■ هل صحيح ان فايزة احمد قامت باغلاق محل فول وطعمية يقع اسفل شقتها بحجة ان زيت الطعمية يؤثر على حنجرتها؟

■ **هذه ضمن حملة الاعلام التي تزعمتها خصومها ضدها، وأنا بصفتي زوجا لها عشت هذه الواقعة بتفاصيلها وأشهد الله ان ذلك لم يحدث أبدا لدرجة انها لم تتحمل اثارها وكانت تبكي بمرارة وتقول دائما انهم يحاربونني حربا غير شريفة.**

■ من المطربة الكبيرة التي ابلغت فايزة تليفونيا بحقيقة مرضها؟

■ **امتنع عن الاجابة.**

■ هل هي على قيد الحياة؟

■ **نعم.**

■ تردد ان فايزة كانت عازفة ماهرة على العود، ما حقيقة ذلك؟

■ **غير صحيح، كانت تعزف «مكسر» لكنها على أي حال تعرف كيف تعزف ولكنها لم تكن على مستوى الاجادة.**

■ رحلتك الفنية معها كزوج وملحن متى بدأت، وما هو حصادها؟

■ **رحلتي مع فايزة بدأت عام 63 وانتهت برحيلها عن الحياة عام 83 حصاد الرحلة دام 20 عاماً بالتمام شهدت ثمارا على مستوى الاغاني العاطفية وقدمت لها اكثر من 100 اغنية.**

■ أول الحانك لها؟

■ **أول اغنية لي مع صوت فايزة كانت اغنية «أؤمر ياقمر» عام 63 وتوالت بعدها الألحان مثل «خليكو شاهدين» و«خلينا ننسى» و«نقطة الضعف» و«غريب يا زمان» و«ايوه تعبني هواك» و«تعالى شوف» «ياما انت واحشني» و«لاقيتك فين» و«قول لكل الناس» الى جانب الاغاني القصيرة مثل «بكره تعرف» و«حبيتك وبداري عليك» و«انساني ياحبيبي» و«على وش القمر» و«ادي الحياة» و«مال عليّ مال» و«أخد حبيبي» و«قاعد معاي» وغيرها.**

■ رغم انك اكتشفت نادية مصطفى ومحمد ثروت إلا ان حظهما الفني لا يتناسب مع خامات صوتهما وضاق الطريق، فما السبب؟

■ **الأزمة ليس لها علاقة بالصوت أو الموهبة، نادية وثروت لم يحاولا التجديد أسوة بما فعله هاني شاكر والحجار ومدحت صالح والحلو وبالتالي لم يعثرا على منتج يتحمس لهما خاصة في ظل ظهور اصوات جديدة مبشرة.**

■ بمناسبة الاصوات الجديدة شيرين عبد الوهاب، وتامر حسني كيف ترى موهبتهما؟

■ **شيرين صوت رائع وعندها احساس دائم بالكلمة والنغم واعتقد انها سوف تستمر للنهاية لأنها تحمل مقومات البقاء، اما تامر حسني الذي ظهر معها في البداية فلم يعجبني ولست متحمسا له وصوته عادي مثل عشرات الأصوات الموجودة في الشارع الغنائي.**

فايزة احمد

فضائيات

ثلاثة أسئلة جراء تشفير بث مباريات كأس العالم

هويدا طه*

(1) احتشاد المواطنين في المقاهي.. فرصة؟

■ **المسألة التي تشغل بال كل من يتابع نمو الحركة المعارضة لنظام مبارك في مصر هي.. كيف تخرج حركة الاحتجاج ضد النظام من حالة (مئات) الناشطين الذين يعملون وحدهم بمعزل عن عامة الناس.. إلى حالة تصبح فيها (جموع) المحتجين بعشرات الآلاف؟ هذه هي المعضلة الأساسية.. كيف يتمكن هؤلاء الناشطون الذين يعدون بالمئات من حفز مختلف الفئات في الشعب المصري المنهك للمشاركة في ذلك الاحتجاج، وإقناعهم بأهمية تكثيف عدد المحتجين حتى يثمر النتيجة المرجوة: إسقاط العائلة الحاكمة التي أوصلت حياتهم إلى هذا الجحيم من الفقر والإذلال وضياع الكرامة.. وكشف الفساد والمفسدين.. والاستعداد لبناء مصر من جديد. حل هذه القضية لا يمكن تحميله لهؤلاء الناشطين وحدهم.. فقد قدموا أكثر من غيرهم عندما خرجوا إلى الشارع وواجهوا ـ ومازالوا يواجهون ـ قوات الأمن بصدورهم العارية.. إلا من إيمان حقيقي بضرورة التغيير كي يصير البلد الذي نعيش فيه وطنا حقيقيا.. وليس كما هو الآن.. سجن كبير.**
الإجابة على (كيف) هذه لابد أن يدلي فيها كلٌ بدلوه.. فالفضائيات على انتشارها وأهمية تأثيرها بل وأهمية الاستمرار في استغلال المتاح منها.. ليست كافية، لأنها أولا (لا تتبنى) مباشرة قضية المصريين العادلة.. فهي مشغولة بالزرقاوي حيا أو ميتا.. حماسا أو كرها وثانيا لأنها لا تصل إلى كل قواعد المصريين.. فإذا كان الوصول إلى (جموع) المصريين تلك لحثهم على المشاركة في صنع مستقبلهم ومستقبل أبنائهم هو المشكلة الملحة الآن.. فإن تجارب الأمم التي نجحت نخبتها في جذب قواعد شعوبها للخروج من السلبية والمساهمة في حركات التغيير تصب في حقيقة مؤكدة مفادها: «الذهاب إلى جموع الناس وليس انتظار مجيئها»، صحيح ان إمكانيات حركة كفاية محدودة إلى حد عدم توفر ما يلزم كي تنتشر بين الناس ماديا.. أي بالعناصر والكوادر والمواد المطبوعة والمسجلة ووسائل التنقل حيث تترامى أطراف القاهرة نفسها عوضا عن باقي محافظات مصر.. إلا أن (العيشة الضنك) التي يحياها الناس قد تكون عاملا يسهل الاستجابة للخروج على الحكومة، عدوتهم الأزلية منذ فجر التاريخ.. وهي حاليا تنتمي لنظام بدأ عده التنازلي ولا يحتاج إلا لتوحيد (الجموع) في مجابهته كي يهوي إلى دركه الأخير، والمسألة في أحد جوانبها ـ تكمن في أن (تذهب إلى) أكبر جمع من المصريين لتقول لهم ذلك ثم تتركه يتفاعل في نفوسهم في الأيام التالية، وطالما نجحت شركة ART في توصيل المصريين إلى هذه الحالة من الغضب لاحتكارها بث مباريات كأس العالم دون غيرها من القنوات.. واستعدت المقاهي لاستقبال تلك الآلاف من المصريين موفرة لهم فرصة مشاهدة ما حرموا منه في منازلهم.. فلماذا لا توضع (خطة عاجلة) للتواجد بينهم بأقصى قدر ممكن.. وبطريقة تجعل الحدث فرصة لإلقاء الحجر في مياه حياتهم الراكدة سياسيا؟ صحيح أن مثل هكذا خطة كان يجب الاستعداد لها مبكرا.. ولكن لم يفت الوقت.. فقط شيء من الذكاء في تنفيذها.. والذكاء في هذه الحالة يوجب أن ينتظر الناشطون إلى أن.. تنتهي المباراة.

(2) بعد الفن والرياضة والدين.. فيم سيتاجرون مستقبلا؟

لست من هؤلاء الذين يتابعون مباريات كأس العالم ولا حتى كأس عيال الحارة كما أني لا أعرف ـ ولا يهمني حتى أن أعرف ـ الفرق بين كرة القدم وتلك الكرات الأخرى مختلفة الأحجام والألوان، لكن تشفير بث المباريات هو أكبر من مجرد حدث رياضي.. حدث يثير مزيدا من الشعور بالقلق والشجن و(الاغتراب) في عالم صار كل شيء فيه قابلا للاتجار به.. حتى الفن والدين والرياضة، كثيرا ما يحتج المتحمسون لليبرالية الاقتصادية ومفاهيم (حرية السوق) بأن المنافسة هي أم الابتكار والتقدم.. وهي السبب في تطوير (السلع)، لكن البشرية ظلت ولا تزال تعاني من هذه (الحرية الشرسة الجشعة) التي تتلاعب بحاجات الناس.. فتحرم منها من تشاء وتتيحها لمن تشاء.. طالما يملك ضخ الربح ومزيدا من الربح في جيوب هؤلاء (الأحرار) كانت السلع في البدء هي بالأساس حاجات الناس (المادية).. مواد الغذاء والكساء والبناء وغير ذلك من الحاجات اللازمة للحياة كوسائل التنقل وباقي وسائل عمران الأرض، لكن هذا التطور المروع لمفهوم (الاتجار بكل شيء) توحش مع وصول التكنولوجيا إلى ما هي عليه الآن.. فوصل إلى حد الاتجار بالفن والاتجار بالرياضة والاتجار بالدين والاتجار بكل ما هو جميل.. انضم اتحاد العالم لكرة القدم أو الاتحاد العالمي أو الفيفا أو أيا كان اسمه إلى تلك (الزمرة المتوحشة) المسماة بالشركات عابرة القارات.. فراح يبيع حق مشاهدة المباريات (لطالما كان ذلك الحق مشاعا متاحا لكل البشر طوال العقود الماضية) وراح يشتريه هؤلاء (الأحرار.. أحرار في الاتجار بكل شيء).. وبدأت جموع الناس في الأرض تذهل عاجزة أمام هذا النوع الجديد من التجارة الذي لا حول لهم ولا قوة أمامه.. كان الأمر قديما: كن فقيرا فلا تأكل ولا تلبس ولا تسكن.. لكنك كنت ما زلت حينها قادرا رغم فقرك على التمتع بذلك (الجمال المشاع البعيد عن أنف التجارة).. الآن كن فقيرا فلا تأكل ولا تلبس ولا تسكن ولا تمتع عينك وأذنك وروحك بأي فن أو رياضة أو جمال للطبيعة والإنسان أو حتى جمال الله وحنانه.. كن فقيرا فلا تكون إنسانا بالمرة.
في مدينتي.. الإسكندرية.. كانت الشواطئ متاحة كمساحة شاسعة يتمتع فيها الفقراء بجمال الطبيعة بأقل قدر من التكلفة.. فأغلق معظمها أمامهم عندما هجم هؤلاء (الأحرار) على أفضل مناطقها وبنوا فيها المنتجعات التي لا يمكن للفقراء حتى أن يمروا أمامها، تاجروا في البحر ونسيمه.. بنوا حوله جدارا عازلا فقبع الناس في بيوتهم.. فإذا بهؤلاء الأحرار في الاتجار بكل شيء يشترون أصول الأفلام المصرية التي تشكل تراثا عزيزا على المصريين فلم يعد ممكنا مشاهدتها إلا بشراء أجهزتهم وبطاقاتهم المشفرة.. فانتظر هؤلاء المطاردون مشاهدة مباريات كرة القدم العالمية فإذا بشركة أخرى اشترت حق بيعها لمن يملك ثمن تلك البطاقة المشفرة.. يحاصر الفقراء ويحرمون لا من السلع المادية فقط ولكن يحرمون حتى من أي نوع من (التمتع) يمكن أن يكون متاحا لهم.. وكأنهم لا يستحقون لكونهم فقراء أن يبتسموا أو يمرحوا أو حتى يتفرجوا.. لم أشتر تلك البطاقة لأنني لا أهتم بكرة القدم.. لكنني أفكر فيمن أعرف من أهل وجيران وأصدقاء وفي تلك (الحسرة) التي تلوح في عيونهم وهم يعجزون عن شراء تلك البطاقة اللعينة.. ثم أفكر في هؤلاء المؤمنين بحرية السوق.. وفي هؤلاء الأحرار في الاتجار بكل شيء.. وأتساءل ترى بم سيتاجرون في الأجيال المقبلة؟ الماء والهواء؟ تمر سريعا بخاطري أخبار جمعتها من مراكز البحوث تشير كلها بأن هؤلاء الأحرار يفكرون (يفكرون؟ بل يخططون) لبيع قناة السويس بل وبيع نهر النيل.. أحاول الاختباء من الفكرة.. أغمض عيني وأغطي رأسي هربا.. كأنني أحاول بالانكماش تحت الغطاء حماية للقناة والنهر من البيع. يكفينا ما تحمله جيلنا من آلام بيع أشياء لم نكن نفكر يوما أنها ستعرض للبيع.. حتى الإله باعوه لكنهم يبيعونه هذه المرة لهؤلاء الفقراء العاجزين عن المتعة على الأرض صنف آخر من التجار يبيع الدين.. السلعة الوحيدة التي يغرون بها العاجزين عن شراء الأشياء الأخرى.. يتاجرون في جنات الله وكأنها (منتجعات) توفر مجانا كل ما هو عزيز على الأرض.. الخمر والحور العين والفاكهة والأعناب والزيتون يكسبون من بيع (منتجعات الله آجلة التسليم) ما يمكنهم هم ـ الآن ـ من شراء (منتجعات الساحل الشمالي).. الفقير إذن ـ وأمام عجزه المشهود عن شراء أية سلعة أرضية ـ هل تتصورون كم يكون مغريا له ذلك العرض على يد التجار الشرعيين؟ فقط ادفع (روحك) ثمنا لحورية واحدة.. والباقي (فري).

(3) ماذا تضيف ملايين أخرى إلى مليارديرا؟

في برنامج ما وراء الخبر على قناة «الجزيرة» نوقشت يوم الجمعة الماضي قضية «تشفير بث مباريات كأس العالم» وأدلى الضيوف كل بدلوه في المسألة.. تبين من النقاش أن تلك المشكلة لا تعاني منها مناطق أخرى في العالم.. بقدر ما تعاني منها الشعوب العربية.. التي وقعت فريسة لواحد من هؤلاء التجار.. دفع لاتحاد كرة القدم العالمي مبلغا ضخما مقابل أن يستعيده من جيوب الناس مبلغا أضخم. لا تملك أمام تلك القضية إلا أن تفكر في هذا التاجر.. فهو من أغنى أغنياء العرب.. يملك فضائيات وأراض ومشاريع في مجالات متنوعة هنا وهناك في أنحاء العالم العربي من المحيط إلى الخليج.. يخدمه قطاع كبير من المتخصصين في كل شيء حتى في الثقافة، يضيف إلى ملايينه ملايين أخرى كل يوم.. تتساءل ماذا يفعل هؤلاء الأغنياء بتلك الأموال؟ هل حقا يحتاجون المزيد؟ لماذا؟ أي سلعة تلك التي تنقصهم؟ يحتاج البشر المال لتوفير مسكن ـ وليكن فاخرا ـ وسيارات ـ ولتكن فاخرة كذلك ـ ومصروفات تخدم تلك الأشياء الفاخرة وتجلب لهم كل الحاجات والأشياء اللازمة للاستمتاع بالحياة ـ مهما كان التصور لما هو ممتع ـ لكن إذا توفر كل ذلك.. ماذا تفعل بالأموال الزائدة؟ ماذا ينقص هؤلاء إلى درجة أنهم تحت (ضغط الحاجة) يتجهون إلى ابتزاز الناس وسرقة القليل المتبقي في جيوبهم المهترئة؟ هل هم من هؤلاء الذين ربما ترصّدهم أحمد مطر.. الشاعر الجميل.. في قصيدة عنوانها (المفترى عليه)؟ وفيها يقول ذلك المفترى عليه: «رصيدي كله ليس سوى عشرين مليارا.. فهل هذا كثير؟ آه لو يدري الذي يحسدني كيف أحير.. منه مأكولي ومشروبي وملبوسي ومركوبي.. وبترول الفوانيس وأقساط السرير.. ما الذي يبغونه مني؟ أأستجدي لكي يقتنعوا أني فقير؟... يقولون ضميري ميت؟.. هل أتاهم خبر عما بنفسي أم هم الله الخبير؟ كذبوا.. فالله يدري.. أنني من بدء عمري.. لم يكن عندي ضمير».

---

* كاتبة من مصر
howayda5@hotmail.com

وارضيات